المكتبة الخضراء للأطفال

٥٦

الجزيرة المهجورة

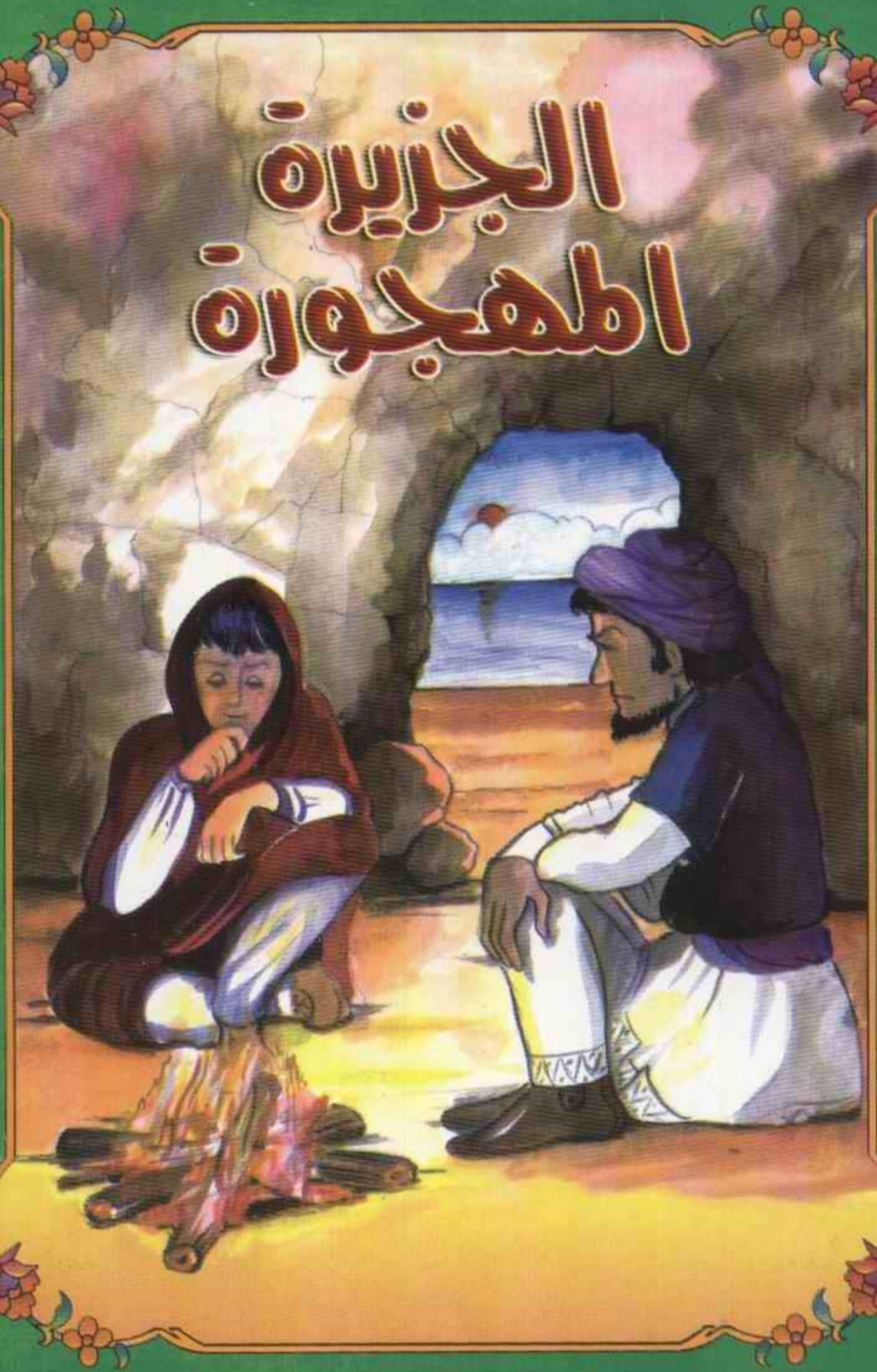

تأليف

د. منى عثمان

دار المعارف

رسوم

منال بدران

المكتبة الخضراء للأطفال

٥٦

الجزيرة المهجورة

تأليف
دكتورة منى عثمان

رسوم
منال بدران

دار المعارف

وَفى سَـالِفِ العصرِ وَالأَوَان، حَكَم ملكٌ عَادِلٌ، مملكةً سعيدةً؛ لأَنه كَانَ لَا يردُّ أحدًا خَائِبًا، ولا يتوَانَى عَنْ مسَاعدةِ المحتاجِ.

لذلــكَ بــارك اللهُ لَهُ فِى مَمْلكتِــهِ وَاتَّســعَتْ أطرافُهَا.. وزَادَ ثراؤُهَا.. وَأَحبَّهُ شــعبُهُ حبًّا جمًّــا.. وكانَ لذلكَ المَلكِ ابنٌ وَاحِدٌ فِى العاشِــرَة مِنْ عُمْره أسماهُ فهدًا. كانَ فهْد ولدًا مُطِيعًا جميلَ الصُّورَةِ، قَوىَّ الجسْــمِ، وَكَانت والدتُه الملكةُ فَخُورةً بِهِ كثيرًا.. وبذلتْ كلَّ مَا فِى وُســعهَا مِنْ أجلِ تنشئَةِ طفلهَا الوحيدِ تَنْشِئَةً صَحِيحَةً.

أرادَ أَبوهُ الملكُ أنْ يكونَ عندَ حســنِ ظنِّ شَــعْبه بِهِ.. فعهدَ بِهِ إلى مُعَلِّــم اسْمه عبدُ الرحمــنِ ليعلِّمَه وَيعدَّه ليكــونَ عَظِيمًا.. وكَانَ عبدُ الرحمنِ طيِّبَ القلبِ، وذُو خِصَالٍ حَمِيدةٍ، فأحبَّهُ فهدُ كَثِيرًا.. وَكَانَا يخرجَانِ معًا إلى الحقولِ والغَابَاتِ فيدرِّبَهُ عبدُ الرحمنِ عَلى الرمَايةِ والصيدِ ورُكوبِ الخيلِ.. وقَدْ أَبدَى فَهْد شجاعةً نَادِرةً جَعلتْ مُعَلِّمَه يفخرُ به..

وكانَ أَبــوه دَائِمًــا يردِّدُ بثقةٍ وفخْرٍ: هذَا الولدُ ســيكونُ خيرَ ملكٍ لهــذهِ المَمْلكَة. كَانَ مُعَلمُــهُ يلازمُهُ ويخَافُ عَليه.. حتّــى إنَّ غُرْفَتَهُ الخاصّةَ كانــتْ مُجَــاورةً لغرفَةِ الأمــير فَهْد ولا يفصــلُ بينهُمَا إلاّ بابٌ صغيرٌ.

وَفى يومٍ مِنَ الأيامِ، مَرَضَ الملكُ مرضًا شــديدًا. ولما شــعرَ الملكُ بِدُنُوِّ أَجَله.. طلبَ زوجَتَه الملكةَ وَابنَهُ ومعلِّمَه عبدَ الرحْمَن..

فتــحَ الملك عينيْــهِ للمرَّةِ الأخِيرَة.. وكانَ يُحملــقُ فِى الهواءِ ويردِّدُ بضعْفٍ شَــديدٍ: أُشفقُ عليكَ يَا بُنىّ مِمَّا سَتُكَابِدُه بعدَ وَفَاتى.. وَعزَائِى أنكَ فِى النهايَةِ سَــتَعْتلى العرشَ أيهَا الملكُ العظِيم.. ثُم أغمضَ عينيْهِ للمــرّةِ الأَخيرةِ، وبكَى الجميعُ بُكاءًا حارًّا لفِــراقِ هذَا الملكِ العَادِل.. فالعدلُ أجملُ صفةٍ يمكنُ أَنْ يُوصفَ بهَا مَلِك.

ولمْ تُمهِــل الأيامُ أحَدًا.. فبعــدَ يوميْنِ اثنيْنِ حدثَ مَــا لمْ يكُنْ فِى الحُسْــبانِ.. اســتيقظَ فَهد فِى منتصَفِ الليلِ عَلىَ أَصْواتٍ عَاليةٍ وهَرْجٍ وَمَرْجٍ.. وَسُــرْعَانَ مَا انفتحَ البابُ الذِى يفصل بينَهُ وبينَ مُعَلمه، الذِى اندفعَ وَالخوفُ بادِيًا عَلى وَجْهه، وَهُوَ يتكلمُ بهمْسٍ وَعَصَبيَّةٍ: أصَمَتَّ وَلا تُصْدر أَىَّ صوْتٍ.وَلَفّه فِى غِطَائه.. وحَمَله عَلى كَتِفه وانطلقَ يَعْدُو.. وَلاَ يدرِ فَهْد إلى أينَ.. وَلاَ مَا الذِى حدثَ.. كَانت الأحداثُ كلُّهَا سَرِيعةً وَكَأنه فِى حُلْمٍ.. وَأخيرًا شــعرَ فَهد أنه قد أصبح عَلى أرْضيةٍ خَشَــبيّةٍ تتحرَّكُ..

كشفَ مُعَلمه عَنْ وَجْهه ليتنفّسَ بِحُرِّيّةٍ.. وَأمره أَنْ يظلَّ هَادِئًا.. كانَ الجميعُ فِى قَــاربٍ صَغيرٍ يحرك بمجْدَافيْنِ.. كانَ عبدُ الرحمنِ يجدفُ بأحدِ المجَاديفِ.. وَمَرَاكبى طاعِنٌ فِى السِّن يُجدف بالمجْدافِ الآخر.. وَأخيرًا استطاعَ فَهد أَنْ يستردّ جَأْشَه ويسْأَل: مَا هَذَا الذِى يَحْدث؟

– الله نجاكَ بأُعْجُوبةٍ.. أعداءٌ مجْهولُونَ هَجَمُوا بغتةً عَلى المَمْلَكةِ، وأحوالِهَا مَا زَالت مُضْطرِبةً بعدَ وفاةِ الملكِ.. ثُمَّ اقتحمُوا القصرَ يُرِيدُونَ

قتلكَ، ليســتعْمِرُوا المملكةَ وَيَحْكموهَا.. صَاحَ فهد بصوتٍ تكادُ تخنقُهُ العبراتُ: وَوَالدتى؟ أشاحَ عبدُ الرحمنِ:

- لاَ أَعرفُ شــيئًا عنْهَا.. كنتَ أنتَ الهدَفَ.. وَلمْ يتّسِــع الوقتُ إلاَّ لإنقاذِكَ أنت.

شــعر فهد بالخــوفِ عَلى وَالدتِــهِ، وأخذَ يدعُــو الله أنْ يحفظهَا وينجيهَا. انتبه فهد عَلى صوْتِ مُعَلمه: وَصَلنا إلى الجزيرةِ المهْجُورةِ.. هيّا اسْــتعدَّ للنُّزُولِ. صَاح فهد بخوفٍ: الجزيرةُ المهجُورَةُ؟ أَلاَ تخشَى الجنَّ وَالأشباحَ التِى تَسْكنهَا.

أَجَابــه مُعَلمه بنفادِ صَبْرٍ: هذَا هــوَ المكانُ الوحيدُ الذِى لَنْ يتعقبنَا فِيهِ أَحَدٌ. لاَذَ فهْد بالصمْتِ، والخوفُ يسْــرِى فِى أَوْصَاله، وهو يتذكّرُ الحِكَاياتِ المروّعةِ التِى سمعهَا مِنَ الكثيرينَ عَنِ الجَان الذِى يَسْكُنُ هذِه الجزيرةَ التِى هجرهَــا الجميعُ ولَمْ يَجْرؤْ أَحدٌ عَلى الذهَاب إليهَا منذُ زمنٍ طَويلٍ. وَلَمْ ينسَ عَم سَــعِيد المراكبى أَنْ يُعْطيهمَا كيسًــا به بَعْضَ الأشياءِ الهامّةِ التِى قَدْ تُعِينُهما، ثُم مسحَ عَلى رأسِ فَهْد وَقبَّلَ جَبِينَه وقــالَ: أبوكَ الملك كانَ له فضْلُ كبيرٌ عَلــىّ.. وَأَنَا لنْ أَتَخَلّى عنكَ أبدًا. وسوفَ أزورك كلّمَا سَنَحت الفرصَةُ..

كَانت الجزيــرَةُ مَهْجورةً ومُوحِشَــةً.. وكانَ فهد يَمْشــى خَائفًا مُتشــبثًا بيدِ مُعَلِّمــه.. كانَ الموقــفُ عَصِيبًا، وعبــد الرحمن يدورُ فى الجزيــرةِ بفَهْد. ليبحثَ عَنْ مكانٍ مُلاَئمٍ للمَبِيتِ.. وَأَخيرًا وجدَ

فجوةً فِى أحدِ الجبالِ المنتشرَةِ عَلى الجزيرةِ تُؤَدى إلى كهفٍ.. أشعلَ عبدُ الرحمنِ شـعلةً مِـنَ النارِ، ودخلَ بحذَرٍ يتبعُـهُ فَهْد.. فوجدَا المكانَ جَافًّا.. آمنًا وبعيـدًا عَنِ اتجَاهِ الريحِ.. فجلسَ جانبًا معَ فهد حَتّى تهدأَ أنفاسُـهُمَا، ولكنّ التعبَ الشّديدَ سُرعَانَ مَا أخذَ فهدًا إلى سُـبَاتٍ عَمِيقٍ.. وبقَى مُعَلمه وَحيدًا يفكِّرَ فِيمَا آلَ إليهِ أمرُهُمَا حتَّى غَلَبه النومُ هُوَ الآخَرُ..

أخِـيرًا فتحَ فهد عينيْه وَبَقَى سـاكنًا، وَكأنه مَا زالَ فِى حُلْمٍ عَجِيبٍ.. فبـدَلاً مِنْ رُؤيةِ غُرفتهِ الفخمَةِ وفراشـهِ الدّافِىء، وجدَ نفسَـه نَائمًا فِى كَهْفٍ بالجبَلِ، فوقَ الأرضِ الجَافّةِ!! جلسَ فَهْد مَكَانه، ليرتِّبَ أفكَارَه، ويتأكّدَ مِمَّا حدثَ اللَّيْلة السَّابقةَ. إذَنْ مَا حدثَ لمْ يكنْ حُلْمًا. يَا إلهى!!

وَأسـندَ جَبينهُ عَلـى ذراعيْهِ المعْقُودتـينِ فوقَ رُكْبتيْـه المُنْثَنيتيْنِ لأَعْلـى.. وَلَمْ يدرِ كَمْ منَ الوقـتِ مَرَّ وَهُو جَالِسٌ هَكَـذَا.. حَتّى انتبهَ عَلـى حَركةٍ بجَانِبِهِ، فرفعَ وجهَهُ، ونظرَ فإذَا بِمُعَلمه قَدِ اسـتيقظَ مِنْ نومِهِ، وهَالهُ مَا وجدَ عليْهِ فهدًا مِنْ حُزْنٍ وَأَسَـى.. فأخذَ يمسـحُ رأسَه بحنَانٍ ثُم قَالَ: يَا بُنى هَذِه مِحْنةٌ كَبِيرَةٌ لنْ يسـتطيعَ إنقَاذكَ مِنْهَا إلاَّ الله، وعلينَا بالصَّلاةِ والدعَـاءِ والصّبرِ حتّى يجعلَ الله لنَا مخرجًا.. ثُم ضمّـه إلى صدْرِه وأردفَ وصَوْته يختلجُ: لقَـدْ عَوّضَنِى الله بك عَن ابنِى الذِى فقدتُّهُ وهُوَ فِى مثلِ عُمْرِك.. وَلَنْ أدّخرَ وسْـعًا فِى مُسَاعدتكَ حتّى لَوْ ضحّيتُ برُوحِى مِنْ أجلكَ.

مرّ الوقتُ بطِيئًا وهمَا جَالِسَانِ يُفكرانِ فِى صمْتٍ، حتَّى سَكنتِ الرِّيحُ تمامًا، فخرجَا يستكْشِــفَان المكانَ معًا.. سُرّ فهد ومعلِّمُهُ برؤْيةِ أشجَارِ الموزِ والبرتقَالِ عَلى البعْدِ.. فأســرعَا إِليها وأخَذَا يلتهمَانِ الفاكهةَ التِى كانتْ لذيذةً جِدًّا حَتّى شَــعَرَا بِالشَّبَع.. ثُمّ حمَلاَ بعضًا منهَا إلى الكَهْفِ الذِى يختبئَانِ فِيه، وتعجّبَا أنهمَا لمْ يقابلاَ جِنِّيًا وَلاَ شبَحًا وَاحِدًا عَلى الجزِيرَة.. وَمَعَ مرورِ الأيَّام استطَاعَا أنْ يتأَقْلمَا مع هَذِه الحياةِ الخشِنَة.. وكانَا كلَّ يوم يضِيفانِ شيئًا جَديدًا للكهْفِ؛ حَتَّى يَعيشَا فِى أَمَانٍ وَسَلام.

فقــد علّمه عبدُ الرحمــنِ كيفَ يَجْدلُ الحبالَ ويصنعُ الســلال.. وَيصيد الأسمَاكَ التِى كَانت المصْدرَ الرئيسـّى لغذَائِهمــا مَعَ الفَاكهَةِ.. وتعجّبَ الإثنــانِ كيفَ يهجرُ النــاسُ جَزيرةً مُمْتَلِئَةً بكل هَــذِه الخيْرَاتِ.. كَمَا اسْــتعانا بِالأشيَاءِ الَّتِى أَعْطَاهَا لَهُما عَمٌّ سَعِيدٍ المَرَاكبى، فَقَدْ وَجَدا بينهَا فأسًــا وَسِــكِينًا، وَأَوَانى وَغيرهَا مِنَ الأشــيَاءِ الضَّروريَّة.. ولكنْ مَا كانَ يُؤَرِّقُهما تأخُّرِ عَمِّ سَعيدٍ عَلَيْهِما، فَقَدْ مرَّ شهرٌ وَهُمَا ينتظرَانِ.. وأخيرًا نفذَ صبرُ عبدُ الرحمنِ فقالَ لفهْدٍ وَقَدْ أَخَذَ قَرَارَه:

– لنْ نستطيعَ الجُلُوسِ هكَذَا مَكْتُوفى الأَيْدِى.. سنبدأُ فِى صُنْعِ قَاربٍ صَغيرٍ مِنْ خَشبِ هَذِه الأشجَارِ.

تحمَّسَ فهد وَقَدْ سَــرَّه أَنْ يقومَ بهــذَا العملِ كثيرًا.. وَبالرغمِ مِنْ أَنَّ العمــلَ كانَ شَــاقًّا إلاَّ أنهمَا بالعزيمَةِ والجهدِ المتواصِلِ اســتطاعَا عَمَل قاربٍ بِدَائى صَغِيرٍ..

كانَ التعبُ قدْ حَلَّ بِهِمَا..

فانْصَرفَا إلى كهفهمَا.. ورَاحَا فِى نوم عَمِيق..

وَمَــا إنْ بزَغَتْ أولُ خُيــوطِ الفجرِ، حَتَّى انتبهَ عبــدُ الرحمنِ عَلى حركةٍ غيرِ عاديّةٍ بالخَارِج.. فتناولَ ســيفَهُ واندفعَ للخارجِ يَسْــتطْلعُ مَاذَا يحدثُ، فوجدَ عَم ســعيدٍ يرسى قَارِبَه ويهبِطُ مِنْهُ فصَاحَ: أَخِيرًا أتيــتَ أيهَا الرجلُ العجوزُ. تأخّرْتَ كَثيرًا. تقدمَ عمُّ ســعيدٍ وهُوَ يُلوحُ بِيــده، ويحملُ عَلى كَتِفه جوَالاً كبِيرًا ويقولُ: لَمْ أجدْ فرصَةً مُوَاتيةً، وَخشِيتُ أَنْ ينكشِفَ أمرنَا ففضّلتُ التريُّثَ.

كانَ فهد قَدْ استيقظَ عَلى الأَصْوَاتِ العالَيةِ التِى لَمْ يتعوّدْ عليْهَا فِى هَذِه الجزيرَةِ، فهرْوَلَ إلَى مدخَلِ الكهفِ، وطارَ فرحًا عندمَا رَأَى عَم سعيدٍ المَرَاكبى، واسْتقبلهُ مُهَلِّلاً: مرحبًا بِكَ.. أَرَاكَ أَحضرْتَ لَنَا شيئًا.

ضحِكَ المَرَاكبى وأخذَ يخــرجُ لهمَا مَا بدَاخِل الجوَال.. أخرجَ خُبزًا ولحمًا، وأرزًا وَزبدةً، وســكرًا وَمصْبَاحًا وأشيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَة تَنْفعُهُم فِــى هذَا الكهفِ البِدَائى. وَلكن ظلّ فهد مُطْرِقًا فِى جِلْســتهِ وهو يلُفُّ ذِرَاعيْه حولَ سَــاقيْهِ إلَى أَعْلى وقال فى حزن: معْنَى كلُّ هَذِه الأَشــياء التِى أُحْضرتْ أننَا سنمكُثُ طَويلاً هُنَا. لكنْ ماذَا عَنْ وَالدتِى؟.

فقالَ عَم سعيدٍ مُخففًا عَنْه: لاَ عليكَ يَا بُنَىَّ.. فوالدتُكَ بخيْرٍ.

صَاحَ فهد بغضبٍ شَابَهُ الحزنُ: فقدتُّ أَبِى الحَبيب، ثُمَّ أُمى وَعَرْشِى، وَأَعيشُ كالحيوانَاتِ الضَّالةِ فِى هذَا الكهْفِ الكَئِيب. صَاحَ عَم ســعيدٍ:

لاَ يَا بُنَىّ.. احْذرْ أَنْ تفقدَ شَـجَاعتكَ وثقتكَ بالله وبِنَفْسِـكَ، فَكِّرْ دَائمًا أَنَّ أُمكَ فِى حاجَةٍ إليكَ، والشـعبُ كلُّه ينتظِرُ اليومَ الَّذِى سـتعودُ فِيه لِتُخَلِّصَهم مِنَ المسْتَعْمِرِ..

جلَسَ الرجلاَنِ يلفُّهُمَا صمتٌ حَزِينٌ.. وَلَمْ يُبدد الصمتَ إلاَّ صوتُ فهدٍ وهُوَ يُصَلِّى ويبتهلُ إلى الله. وَدّعهمَا عَم سـعيدٍ وهُوَ يعِدُ فهدًا بمحَاولةِ الوصُـول لِوَالدته؛ ليطمئنهَا عَليه وَيطمئِنَـهُ عَليْهَا. مَرَّت الأيامُ وفَهْد ينتظرُ عم سعيد بفارغِ الصّبرِ، وأفكَارُه القلقَةُ تقضُّ مَضْجَعَه.. تُرى ماذَا حدثَ لأُمى؟.. هلْ تعلمُ أَننى ما زلتُ عَلى قيدِ الحيَاةِ؟.. وَهَلْ.. وَهَلْ.. وَأسئلةٌ كثيرةٌ تدورُ بِعقْله وهُوَ يقومُ بأعمَالِهِ المعْتَادةِ فِى صَمْتٍ.

فِى صباح أحدِ الأيام اسـتيقظَ عبدُ الرحمنِ مِنْ نَوْمه، فَهَالَهُ أَنَّ فهدًا لمْ يكنْ بِجِواره.. قفزَ مسرعًا وانطلقَ للخَارِجِ يبحَثُ عَنْه فِى كلِّ مكَانٍ.. وأخِيرًا وَجَدَه بينَ الأشجَارِ مُنهمِكًا فِى قَطْعِ جذْعِ شجرةٍ ليصْنعَ منهَا مجْدافَـيْن للقَارِبِ.. ابتـدرَهُ قَائِلاً: مَاذَا تفعلُ فِى هَذِه السَّـاعةِ؟ نظرَ فهد إليْهِ بإصْرَارٍ وَقَال: لا أسـتطيعُ الانتظَار أكثرَ مِنْ ذلكَ.. سـأذهبُ بالقاربِ الذِى صَنعنَاهُ لأبحَثَ عَنْ وَالِدَتِى..

سَأتخفَّى فِى مَلاَبسى القذرَةِ الممزّقَةِ هَذِه، ولنْ يَخطرَ ببالِ أحدٍ أننِى الأَمِير. أطرقَ عبدُ الرحمنِ مُفكرًا بُرهةً.. ثُمَّ رفعَ رأسَه وَقالَ لفهدٍ:

– بلْ سـأذهبُ أَنَـا مُتخفيًا وعليكَ أنتَ البقَاء هُنَـا، ولتحافظْ عَلى نفسِكَ.

انطلــقَ عبدُ الرحمنِ بالقاربِ، وفهد لاَ يكــفُّ عَنِ التلويحِ له حَتَّى غابَ عَنْ عَينيْهِ.

مَرَّ الوقــتُ ثقِيلاً عَلى فهد الــذِى آثَرَ التجوُّلَ بالجَزِيرةِ، وتسـلُّقَ الجبَال.. وبينمَا كانَ يتســلقُ أحدَ الصُّخورِ، هَوَتْ بِه، وســقطَ سَقْطةً آلَمَتْــه، وعندمَا نهضَ تعجّبَ مِنْ وجودِ فتحَــةٍ بالجبلِ كَانتْ تُخفيهَا تِلكَ الصَّخْرةُ..

كانــتْ الفتحة مَدْخــلاً لكهْفٍ كبيرٍ. تردّدَ فهد قَلِيلاً ثُمَّ اســتجمعَ شَــجَاعَته، ودخلَ يَدْفعُه الفضُــولُ.. وجدَ عددًا كبيرًا مِــنَ الصناديقِ الخشــبيّةِ فتحَ أحدَهَا بالاســتِعَانةِ بسِــكِّينَةٍ، فوجدَ الصندوقَ مَمْلوءًا بالحُلــيِّ واللآلىء والمــاسِ والعمــلَاتِ الذهبيَّةِ.. تعجّبَ فهــد ثُم فتحَ صُندوقًــا ثانيًا وَثالثًــا.. كانَ بالكهفِ ثروَةٌ مِنَ الحُلــيِّ وَاللَّآلِىء، أخذَ فهــد يُحمْلقُ فيهَا غَيرَ مُصَدقٍ لعينيْهِ، وهو يتســاءلُ لِمَنْ هذَا الكَنْز؟.. وَمنْ أَحْضره هُنَا؟ ظلَّ فهد يذهبُ كلَّ يوم إِلى الكهْفِ، ويتسَــلَّى بفتحِ الصَّنَاديقِ الخشــبيَّةِ ويعبــث بمُحْتوياتهَا. وفِى اليــوم الخامسِ كانَ يتفــرّجُ عَلى الــلآلىء والحُلى، فســمعَ أصواتًا عاليةً تَأْتِــى مِنْ بَعيدٍ.. فانطلقَ فرِحًا مُحَدثًا نفسَــهُ، أخيرًا عادَ مُعَلمى وَعم ســعيد.. فَمَا كادَ يخــرجُ مِنَ الكهفِ ويمعِنُ النظَرَ إِلى صفحَةِ الماءِ بعيدًا، حَتَّى كادَ قلبُه ينخلعُ رعبًا. فقدْ كانَ هناكَ خمسَــةٌ مِنَ القواربِ الصَّغيرةِ فوقهَا بعضُ الصَّنَاديقِ ورجالٌ كَثِيرُونَ.. انطلقَ فهد كالسَّــهمِ إلى الكهفِ الذِى ينامُ

فِيهِ، وجمــعَ بعضَ الحَاجَاتِ الهامَّةِ بِسُــرْعةٍ، وعــادَ متخفيًا ليلْقِى نظرةً إِلىَ القوارِبِ الخمْسَــة.. فَرَأَى رجالاً، عَلى الشَّاطىء، تبدُو عَلى مَلاَمحِهِم القسْــوةُ والإجرامُ.. وَمِنَ الوَاضِحِ أنهم عِصَابَة مِنَ اللُّصوصِ، يَحْتفظونَ بالمسْروقاتِ فِى هذَا المكَانِ الذِى لاَ يخطرُ عَلى بَالِ أَحَد..

أعملَ فهد عقْلَه بُســرْعةٍ.. فلابدَّ له مِنَ الاختبَاءِ؛ لأنهُم سَيُدركونَ أنــه دخلَ مَخْبأَهُــمْ وَرَأى كنزَهُم وســيُلْحِقُونَ بِه الأَذَى. تســلّلَ فهد مُبتعِدًا دونَ أَنْ يلحظَهُ أحدٌ، إِلى الجانبِ الخَلْفى مِنَ الجزيرةِ، وأخرجَ عودًا منَ البوصِ المجوَّفِ، وأطبقَ عَليْه شَــفتيهِ، وربطَ كيسَ حَاجَاتِهِ عَلى وَسَــطه، ثمَّ غاصَ سريعًا فِى المَاءِ مُخفيًا عودَ البوصِ بينَ الأعشابِ المُنْتشرةِ عَلى طولِ الشَّــاطىء، وظلَّ سَاكنًا فِى مَكَانه، يتنفَّسُ بانتظام مِنْ فمهِ بمسَاعدةِ عُودِ البوصِ..

ولمْ يكــذبْ حَدْسَــه.. فَبمجرَّدِ أَنْ دخلَ اللصــوصُ الكهفَ ووجدُوا الصناديــقَ مفتوحَةً والحُلىَّ مُتناثِرةً هنَا وهنــاكَ حتَّى جُنَّ جُنُونهم، وانطلقُوا يبحثونَ فِى أنحَاءِ الجزيرَةِ عَنْ أَىِّ إِنسَــانٍ، فوجدُوا الكهفَ الــذِى ينامُ فِيهِ فهد وَمُعَلمه، ووجدُوا أَغْطِيتَهُم وأدواتَهُم، وتأَكَّدُوا أَنَّ هناكَ منْ تجرّأَ وجاءَ إِلى الجزيرَةِ بِالرغْم مِنْ قصصِ الجانِ والأشبَاح التِى أَلَّفوهَا ونشروُهَا بينَ الناسِ؛ ليمنعُوهُم مِنَ المَجِىء إِلى تلكَ الجزيرة.

صرَخَ أَحــدُ اللُّصوصِ فَقَــالَ: لننْطلِقْ جميعًا وَنقبضْ عَلــى مَنْ فَعَلَ ذَلكَ بمسْــروقاتِنَا وَنقطعْه إِرْبًا إِرْبًا حَتَّى لا يُفشــى سِرَّنَا. اتَّجَه أفرادُ

العصَابةِ إلى منطقَةِ الأشـَجارِ يبحثُونَ فيهَا.. وَهنَا انتهزَ فهد الفرصةَ الذهبيـــةَ، ووضعَ عودَ البُوصِ فِى حِزَامِه حولَ وَسَــطه، وأخذَ يســبحُ بمهـــارَةٍ تحتَ سَطْحِ المـــاءِ متجهًا إلى الجَانبِ الأَمَامـــى مِنَ الجزيرَة، حيثُ تُوجدُ قواربُ العِصَابة.. أخرجَ رأسَه بحذَرٍ، ونظرَ يُمنةً وَيُسْرةً ثمَّ قفزَ إلى أَحَدِ القوارب، وأَخذَ يجدِّفُ بكلِّ قُوَّتِه مبتعدًا..

وعَلى البعدِ شـــاهدَ أفرادَ العصَابةِ يُشـــيرونَ ويَصِيحونَ بغضبٍ، وقدْ قَفزَ رجُلاَنِ إلى أحدِ القـــوارِبِ، وأخذَا يجدِّفَانِ بكلِّ قوْةٍ ليلحَقَا بفهد.. وهنَـــا دبَّ الخوفُ فِى نفسِـــه، فقدْ كانَ الرجلان أَشَـــدَّ مِنْهُ قوةً وحتمًا سيستطيعَانِ اللِّحَاقَ به.. أَخذَ فهد يجدفُ بكلِّ قُوّته، وَقلْبه يبتهلُ إلى الله أَنْ ينقذَهُ مِنْ براثِنِ هَذيْنِ اللِّصَّيْن اللذيْنِ أخذَا يقتربَانِ مِنْهُ. وهو يدعُو ويتضـــرعُ إلى اللهِ أَنْ ينقذَهُ، وبينمَا مدَّ أحدهمَا ذراعيْه ليتشـَّبثَ بحافَةِ قاربِ فَهْد.. إذَا بحوتٍ ضخْمٍ يأتِى مِنْ أســفَلِ قَارب الأشـــرَارِ، وَيقلبُه رأسًـــا عَلى عَقِبٍ، وتتعَالَى صيحاتُ الرجليْنِ، وفهد يتشبثُ بمجْدافيْهِ وَقَـــدْ اضطرَبَ الماءُ بشـــدةٍ حَتَّى كادَ أَنْ ينقَلبَ قَارِبُـــه هُوَ الآخرُ.. ولكنَّ حركةَ الماءِ دَفعته بَعِيدًا.. وأخذَ يبتعدُ أكثرَ وأكثرَ وهو يســـمعُ صيحَات اللصيْنِ اللَّذيْنِ أَنْزَلَ الله سُبحَانه وتعَالَى عِقَابَه عليهِمَا.. أخذَ فهد يشكرُ الله ويحمدُه عَلى نَجَاته.. وأخيرًا ظَهرَتِ اليابســـةُ عنْ بعدٍ، فتشّـــجعَ وأخذَ يزيدُ منْ ســـرعةِ تَجْدِيفه حتّى وصَلَ إِلى الأرضِ، وأرْسَى القاربَ وربطَهُ فِى جذعِ شَجرَةٍ، ثُمَّ ارتمَى فِى ظِلِّ الشجرةِ وقدْ خَارتْ قُوَاهُ لفرْطِ

التعبِ والانفعَالِ.. غابَ عَنْ وَعْيه ولمْ يشــعرْ بنفسِــهِ إلاَّ وقدْ اشــتدّتْ حرارةُ الشــمسِ وقتَ الظَّهِيرةِ.. فتحَ فهد عينيْــهِ وقدْ نالَ منه الإعياءُ والجوعُ والعطشُ الشَّــديد.. وفجأةً تذكَّرَ أَنَّ بالقاربِ صُندوقًا صَغيرًا لمْ يتّســع الوقتُ للعِصَابةِ لتنقلَهُ إلى الجَزِيرَةِ.. فأخرجَ ســكِّينًا مِنْ حِزَامِهِ المربُوطِ حولَ وَسَــطه، وَمَا إنْ فَتَح الصندوق حتّى تســمَّرَ مِنَ المفاجَأة.. فقدْ وجــدَ حُلِيَّ أُمــه الذهبيّةَ التِــى يعرفهَا جيدًا.. تســارعَت دقاتُ قلبهِ، وتحسّــسَ الحليَّ وهو يتساءلُ بذُهولٍ، كيفَ حصَلَ عليهَا أُولئكَ اللُّصُوص؟!! وَمَاذَا فعلُوا بِأُمى؟ وتساقطتْ دموعُه وهو يفكِّرُ أَنَّ الأشرَارَ لابدَّ أَنْهم أَصَابوهَا بِسُــوءٍ.. ثُمَّ تناولَ خاتمًا صَغِيرًا وَوَضَعَهُ بكيسِه، ثَمَّ حملَ الصندوقَ وتســلّقَ الشــجرةَ وربطَه جيدًا بفروعهَا العَاليةِ وأخفَاهُ بينَ الأَوْرَاق.. ثُمَّ هبطَ وتلفتَ حَوْله ليتأكَّدَ أَنَّ أحَدًا لمْ يَرَه.

اتجَه فهد إلى السوقِ وهو مُتأكدٌ أَنَّ أحدًا لنْ يَعْرِفَه.. فَمَلابسُه بَاليَةٌ ومظهَرُه بَائِسًــا.. وبينمَا هو يمْشِى وجدَ نفسَه أمامَ مَطْعم تنبعثُ منهُ رائحةٌ شــهيّةٌ فاتجَه إليْهِ مُســرعًا.. كانَ صاحبُ المطعم نَحِيلاً يشــعُّ المكرُ والدهــاءُ منْ عَيْنيْه. أَمَّا امرأتُه فكانتْ بدينةً لهَا وجهٌ فِيهِ نَمَشٌ وعينانِ ضَيِّقتَانِ لا تقلُّ مكْرًا ودهَاءً عَنْ زَوْجهَا.. وقفَ فهد عند البابِ باســتحيَاءٍ عندمَا وجدهمَا ينظرَانِ إليْهِ باحتقارٍ وَضِيقٍ ثُمَّ دخلَ بِخُطىً مُــتَرَدِّدَة.. وقبلَ أنْ يصِــلَ إلى المائدةِ الصَّغيرَةِ، صَاحَــت المرأةُ بصوْتٍ كَرِيهٍ: أنتَ أيهَا المتســولُ.. انصَرِفْ سَــرِيعًا. غضبَ فهد وصَاحَ فيهَا

بكرامَةٍ جَرِيحَةٍ: لستُ متسوِّلاً أيتهَا المرأةُ.. فقالَ زوجهَا بصوتٍ رفيع كالفأرِ: ومنْ أينَ لكَ ثمنُ مَا سَتأكُلُه؟

مَدَّ فهد يَدَه فِى كيسِهِ وأعطاه الخاتمَ المَاسِى، وقال: سَأَبِيعُ هذَا وأدفعُ لكمَا مَا تُرِيدَان ثمنًا للطَّعَام. تبادلَ الرجلُ والمرأةُ نظرةً لئيمَةً ثُمَّ انحَنَى له الرجُلُ وقالَ: تفضَّلْ يَا سَيدى.. وَأشارَ بيَدِه لإحْدَى الموَائِدِ وأسرعَ بإحضَارِ أَصْنافٍ شَتّى مِنَ الطعامِ اللَّذِيذ.. انقَضَّ فهد عَلى الطعام وَأكلَ مَا اشتهتْ نفسُه، وتجرَّعَ الماءَ، ثم جلسَ ساكنًا وَقَدْ هدَأَ بعدَ إِحْسَاسِه بالشَّبَع.. نَادَى عَلى الرجُلِ الَّذِى كانَ يُرَاقبُه وَقَالَ: أُرِيدُ بَاقِى المالِ لأَنصرفَ الحِينَ، كشّر الرجلُ عنْ أنيابِهِ قائلا: أى مَالٍ؟ أنتَ لمْ تعطِنِى مَالاً، استدركَ فهد بسرْعةٍ: أقصدُ المالَ المتبقِّى منْ ثمنِ الخَاتم المَاسِىِّ، جَاءت المرأةُ ووقفَتْ بجوَارِ زوجهَا مُتَحفِّزَةً: أَى خَاتم أيهَا المجنونُ؟ نحنُ لمْ نَرَ خَوَاتم، انقضّتِ المرأةُ البدينَةُ عَلى فهد وَدَفعتْهُ للخلْفِ فَوَقع عَلى الأَرْضِ ثُمَّ سحبتْهُ معَ زوجِهَا إِلى خارِجِ المطعَمِ وهمَا يَصِيحانِ عاليًا ليسمعَهُمَا الناسُ جميعًا فِى السُّوقِ: اخرُجْ أيهَا المتسوِّلُ مِنْ هنَا.. لقدْ أطعمنَاكَ إشفَاقًا عليْكَ.. والحِينُ تريدُ سَرِقتنَا.. الشُّرْطَةَ.. الشُّــرْطَة. شعرَ فهد بيدِ الشُّرْطى تهوِى عَلى ظَهْره. فأخذ فهد يصيحُ: أيهَا اللصوصُ الأشقياءُ.. أنتُم الذينَ سَرَقتم خَاتمَ وَالدتى المَاسِى..

وهُنَا دَفَعَهُ الشُّــرْطى بقَسوةٍ وهو يصيح: خَاتمُ والدتكَ المَاسِى أيهَا المُتشرِّدُ القَذِرُ.. هيّا إِلى المكَانِ الَّذِى يجِبُ أَنْ يُودَعَ فِيه أَمْثالُكَ.

زُجَّ بفهد المسْكين فِى السجنِ فِى غرفَةٍ مُظْلمَة.. ولمْ يكنْ يفكِّر فِى شىءٍ، ولكنْ كانتْ صورًا سَرِيعة مُتَلاحقةً تَتَوالى عَلى ذَاكرتهِ.. أُمه.. أبوه.. عبدُ الرحمن.. القَصْر.. الجَزِيرَة.. أصحابُ المطعم الأشرار.. تملّكَهُ اليأسُ.. لكنّه تذكّرَ وصيَّةَ مُعَلمهِ بالصَّبرِ والصَّلاةِ.. فتوجّه بقلبْهِ إلى اللهِ يدعُوه أنْ يفرِّجَ عَنْهُ كربَهُ ويزيلَ آلامَه..

فجأةً تعالتْ أصواتٌ وسمِعَ وقعَ أقدام غَليظَةٍ تقترِبُ مِنْ بابِ الزِّنزَانةِ.. ومعَ صوتِ المفاتيح والمزَاليج كانَ قلْبُه يدقُّ بعنفٍ وهو لا يدْرِى مَاذَا سيفعلُونَ بِهِ.. ومَا إنْ فُتِحَ البابُ حَتّى وجدَ اثنيْنِ منَ الجنود يمسكانَ بِتَلابيب رجُلٍ كانَ يصرخُ بِهَلَع، أَنَا بَرِىءٌ.. أَنَا لمْ أَسرِقْ شيئًا، صَاحَ فيه أحدُ الجنودِ بصوتٍ أجَشَّ: اخرسْ أيهَا اللصُّ.. والويلُ لكَ، ودفَعَه دفعةً قويةً أطاحَتْ به أرْضًا.. وأغلقُوا البابَ بعنفٍ. أخذتِ الشفقةُ بقلبِ فهد..فنهضَ واتجهَ للرجلِ وربتَ عَلى ظَهْره.. انتفضَ الرجلُ وارتدَّ للورَاء: مَنْ.. أيوجدُ أحدٌ هُنَا؟، كانتِ النافِذةُ العلويَّة ذاتُ القضبَانِ الحديديةِ ترسلُ بعضًا مِنْ نورِ الفجرِ الباهِتِ.. أجابَ فهد بصوتٍ خَفِيضٍ: نعمْ.. إنه أَنَا.. قبضَ الرجلُ عَلى ذراعيْهِ بقوةٍ وَسأله بانفعَالٍ: أنتَ مَنْ؟ ودقَّق النظرَ جيدًا فِى الضوءِ الخافتِ ثُمَّ هتفَ بفرحَةٍ غَامِرَة فَهْد.. سَيِّدى الأَمِير أكادُ لاَ أصدِّقُ نَفْسِى.. عَانقه وهو يصِيحُ بسعَادةٍ: عَمّ سَعِيد.. عَمِّ سَعِيد.

وَبعدَ أَنْ هدأَ اللقاءُ سَأله عم سعيد بتعجُّبٍ: ولكنْ مَا الذِى أَتَى بكَ إلى هُنَا؟ ألمْ ينصحْكَ عبدُ الرحمنِ بالمكُوثِ فِى الجزيرةِ حَتّى يعودَ إليكَ.

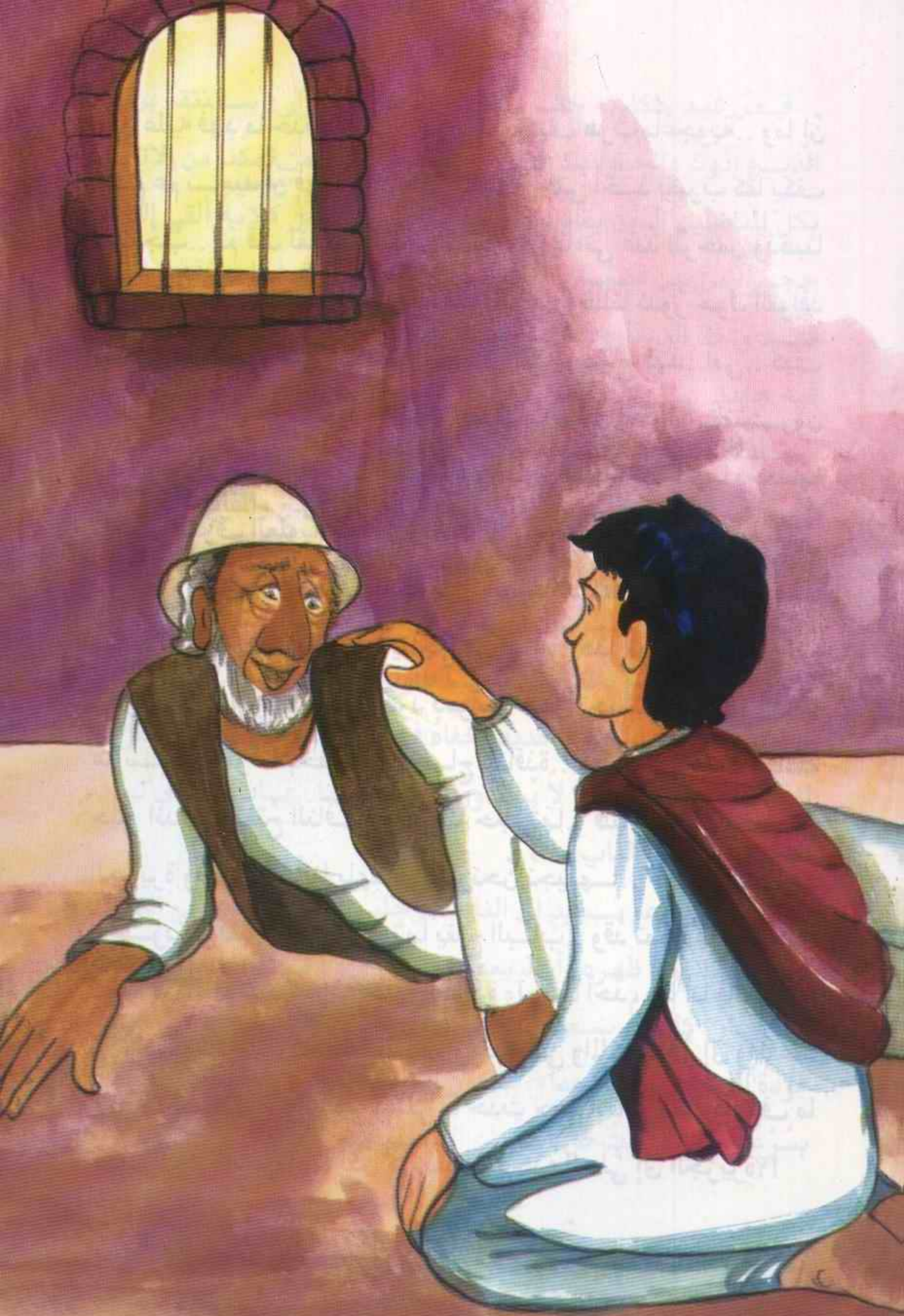

قَصَّ عَليه فهد مَا حدثَ له فِى الجزيرَةِ.. وكيفَ هربَ بأُعْجوبةٍ.. ومَا إنْ علــمَ عمُّ ســعيد أَنَّ فهدًا وجدَ حُلِىَّ الملكةِ.. حَتّى أخــذَ يضربُ كفًّا بِكفٍّ ويتعجَّبُ.. ثُمّ قالَ لفهــدٍ بأنفاسٍ مُتقطعَةٍ: جَاءنى عبدُ الرحمنِ وذهبنَا ســويًّا للقصْرِ نســتطْلِعُ أخبارَ وَالدتكَ الملكةَ.. وظَلَلْنَا ندورُ حولَ النوافِذِ وننظُــرُ خِلاَلها حَتَّــى اهتديْنَا إلى مكَانِ الملكَةِ. صَــاح فهد: أُمى.. كيفَ حالُهَا؟، همسَ عمُّ ســعيد: اخفضْ صوتكَ يَابُنَىّ.. الحراسُ مُنتشــرونَ بالخَارِج، ثُمَّ همسَ: الحاكمُ العدوُّ طاغٍ وَجبَّارٍ.. سلبهَا كلَّ حُليهَا وحبسَهَا بإحْدَى الغرفِ العلويّةِ بعدَ أنْ رفضَتْ الزواجَ منه.. وَهى مِسْكينةٌ تبْكِى ليلَ نهَارٍ.. تريدُ أَنْ تعرفَ أخبارَكَ.. وقدْ شاهدناهَا وقدْ نحِلَت وعصَفَ بِهَا الألمُ. صَاح فهد والغضبُ يتأجّجُ فِى صَدْرِه: هذَا الوغْدُ يريدُ أنْ يحلَّ محَلَّ أَبِــى.. وَأَرْدفَ وَهُوَ يزدَردُ دموعَه: هَــل تحدثْتُمَا معها؟! أَجَابه عمُّ ســعيد: طرقْنَا بخفَّةٍ عَلى زُجَــاجِ النَّافذِة.. ومَا إنْ شــاهدتْ مُعَلمكَ حتّى اندفعَتْ تفتحُ النافــذةَ وتُدْخلنَا حجرتَهَا.. قلنَا لَهَا إنكَ بخَيْرٍ فِى الجزيرةِ وظلّتْ تَسْــألنَا بلهفةٍ عنكَ ونحنُ نُجِيبُهَــا.. حتَّى سمعنَا أحدَ الجنــود الواقفينَ خارجَ حجرتهَا يفتحُ البــابَ.. وقدْ تمكَّنَ عبدُ الرحمنِ لقوَّتهِ منَ الوثُوبِ بســرعةٍ خارجَ النافذةِ ولمْ يَرَهُ أحدٌ، أَمَّا أَنَا فأمسَــكُوا بِى واتَّهمُونِى بســرِقةِ حُلى الملكةِ، وأخذُونِــى والمَلكةُ تنظرُ إلىّ وقدْ عقدَ الخوفُ لســانهَا.. والحمدُ لله عَلى مَا حدثَ حتَّى أتقابلَ معكَ وأعرفَ مَا حدثَ لَكَ فِى الجزيرةِ.. لكنْ كيفَ وصَلتْ هذِه الحُلِىُّ إِلَى الجَزِيرةِ؟!

قَـصَّ فهد حِكَايته حتَّـى قالَ لهُ الرجلُ باصرارٍ: سَـننتقمُ مِنْ كلِّ الذيـنَ آذوكُ وألحقُوا بِكَ الضَّررَ.. أَنَا وعبدُ الرحمنِ تمكَّنَّا منَ الاتصالِ بكلِّ المناضلينَ الذينَ يقاومونَ العدُو. وقبلَ أنْ يكملَ كلامهُ أَلقى إليهمَا حجـرًا منْ بينِ قضبَـانِ النَّافِذةِ.. كانَ الحجرُ ملفوفًـا بورَقةٍ.. اندفعَ فهـد وَأخذَ الورقَةَ وفتحهَا وقرأَهَا بهمْسٍ: قبلَ أنْ تأكلَ الفطُورَ فَتِّشْ فِيه جَيدًا.

تبادَلاَ النظرَاتِ وقَدْ تجدّدَ الأملُ فِى نفسِ فهد الذِى ابتسمَ بسعَادةٍ.. وَمَـا هِى إلاَّ فـترةٌ قصيرةٌ حتّى سمعَا رفْعَ المزاليـج والمفاتيحِ تدورُ فِى الأقفـالِ ثُمَّ دخلَ جندىٌّ ممسكًا بصفحَةِ طعـام وضعهَا عَلى الأرضِ ثُمَّ انصـرفَ وأغلقَ البابَ دونَ أَنْ ينطقَ بكلمَةٍ.. انتظرَا حتّى ابتعدَتْ وقعُ أقدام الجنـدى ثُمَّ بحثَا بَيْنَ ثنايَـا طَاولَةِ الطعام فوجَـدَا حبْلاً طويلاً ملفُوفًا وَمنشـارًا لقطْعِ الحديدِ أخفَاهُ فِى مَلاَبسـه بحذَرٍ وَقَالَ بفرحَةٍ لفهْدٍ: كُلْ يَا بُنَىَّ حَتَّى لاَ يُسَـاوِرُهم شـكٌّ فِينَا. عَـادَ الجندىُّ ليأخذَ الأطباقَ ثمَّ أغلقَ البابَ.

اتجه فهدٌ وعمُّ سـعيدٍ إلى النافذَةِ.. جلسَ عمُّ سعيدٍ مُنْحنى الظهْر، فوقفَ فهد فوقَ ظهرِه وأخذَ يعملُ بسرعةٍ وقوةٍ فِى قطعِ قضبَانِ النَّافذةِ بالمنشـار. كانَ عمُّ سـعيدٍ مِنْ حـينٍ إلى حينٍ يحثُّهُ عَلى الإسـرَاعِ قبلَ عَودةِ الحارسِ وقتَ الغداءِ، فتكُون الكارثةُ الكبرَى.. فأَخَذَ فهد يعملُ بسُرْعَةٍ حتَّى أُزِيلتْ كلُّ القضْبَانِ الحَدِيديّةِ مِنَ النافِذَةِ.

ربطَ عمُّ سعيدٍ الحبلَ حولَ وَسَطِ فهْد، وأنزَله مِنَ النافذةِ ببطءٍ حتّى وصــل إلى الأرض وتحت النافــذةِ كانتْ مُفَاجأةً مُذْهلــةٌ لعبدِ الرحمن الَّــذِى جاءَ خِصِّيصًا كَىْ ينقذَ عم سَــعيد، فإذَا بهِ أمامَ فهدٍ فَعَانقه وَهُوَ بــينَ الفرحةِ والذُّهُول. أنتَ أيهَا الفهدُ الصّغيرُ.. كيفَ جئتَ إلى هُنَا، همسَ إليهِ فهد وقلْبُه يتراقصُ فرحًا، ســأقصُّ عليكَ كلَّ شــىءٍ بعدَ أَنْ ينزلَ عمُّ سعيد. كانَ عمُّ سعيدٍ ينزِلُ ببطْءٍ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلى الحبْلِ ذى العُقدِ، وهمَا يُرَاقبانِهِ بقلقٍ.

وَانطلــقَ ثَلاَثتهــم هَارِبينَ بســرعةٍ، وَكأَنّهُمْ يُسَــابقونَ الريحَ.. وعَلى مَسَافةٍ ليستْ بَعيدةً كانَ هناكَ جُنديَّيْنِ مِنْ اتباعِ عبد الرحمن يَمْتطيَانِ جَوَاديْــنِ، وَمَعَهم ثلاثةُ جِيَادٍ أُخْرى. قفزَ كلُّ واحدٍ مِنْهم إِلى جوَادٍ وانطلقَ الخمسَةُ بأَقْصى سُــرْعةٍ.. وفجَأَةَ اعترضَ طَرِيقَهُم نهــرٌ صَغِيرٌ، فصرَخَ فيهم عبدُ الرحمنِ: لا تتوقّفُوا.. اقفزُوا باسْــمِ الله.. فقَفَــزوا إِلى الجَانِبِ الآخرِ وَهُمْ لاَ يُصدقُونَ أنفُسَــهم.. وَأخِيرًا فِى أقصَى الغَابةِ كانَ هناكَ بيتًا خشبيًّا مُتهالِكًا يتصاعدُ مِنْهُ دُخَانٌ.. دَخَلُوا إِليْهِ بعدَ أَنْ تركُوا الخيْلَ تَرْعَى العشْــبَ.. فُوجِئ عَمُّ ســعيدٍ وفهــدٍ، بعددٍ كبيرٍ مِــنْ جنودِ الملكِ الرَّاحِلِ الأوفيَــاءِ، الذينَ هَلَّلُوا وحمدُوا الله عَلى عودَةِ فَهْدٍ. ثُمَّ أخذُوا يتشاورُونَ فِى كيفيَّةِ التخلُّصِ مِنَ العدوِّ الغَاشِم.

وهنـــا قَصَّ عَلَيْهم فهد كلَّ مَا حَـــدثَ له عَلى الجزِيرَةِ المهْجُورَة.. تعجَّـــبَ الجميعُ وصَـــاحَ أَحدُهُم: لابدَّ أَنَّ رئيسَ العـــدوِّ لِصٌّ حَقِيرٌ، وزعيـــمٌ لِهَـــذِه العصَابةِ الخَطِـــيرَةِ.. وَإِلاَّ فكيفَ وَصَلـــتْ حُلِيُّ الملكَةِ هُنَاكَ. أَجَابه الثَّانى: إذنْ ستكونُ البدايةُ مِنْ تلكَ الجزيرةِ المحاطَةِ بالغُموضِ.

انطلقَ خمســونَ جنديًّا فِـــى طَرِيقهم إِلى الجزيرَةِ، وهم مُسْـــتعدونَ لمعرَكَـــةٍ طاحِنَةٍ، وَقَد انتظرَهُم عشـــرونَ قاربًا للإبْحـــار. أَمَّا فهدٌ وعمٌّ ســـعيدٍ، فَلاَبُدَّ لَهُما منَ الراحَةِ بعدَ العنَاءِ والمشقَّةِ الشديدَةِ. وكانَ عبدُ الرحمـــنِ هو رئيسُ جماعَةِ المنَاضِلينَ، فبقَـــى - معَ منْ بقَى - ينتظرُ الجُنُودَ.

وَفِى اللَّيلةِ التَّاليةِ جلسَ الجميعُ يترقَّبُ، والانفعالُ الشـــديدُ يبدُو عَلى وُجُوههم، حَتَّى سَمِعُوا وقْعَ حَوَافرِ الخيلِ تأتِى منْ بعيدٍ، فانطلقُوا جميعًا للخَارِج.. كانَ المشـــهدُ مُفْرِحًا جدًّا وَهُمْ يروْنَ كلَّ جندىٍّ يحمِلُ وَرَاءه أحدَ اللُّصُوصِ مُكبّلاً بالسَّلاَسلِ فِى يدَيْهِ ورجْلَيْه، وَكَانُوا يحملُونَ مَعَهم الصَّنَاديقَ والأكيَاسَ المحتويَةَ عَلى المسْرُوقَات..

أصدرَ عبدُ الرحمنِ أوامرَهُ للرجَالِ أَنْ يتبعهُ الجميعُ.. وَمَا إن استردَّ الجميعُ أنفاسَـــهُم حَتَّى نظرَ إِليْهم قائدُ الجنودِ الخمسينَ العائدينَ مِنَ المعركَةِ بزهْوٍ قائلاً: ألمْ أَقلْ إِنَّ البدايةَ ستكُونُ فِى الجزيرَةِ المهجُورَة..

وَأَشارَ إلى أفرادِ العصَابةِ المحْكم وَثَاقهُمْ، وهُمْ جَالسونَ ينظرونَ بِذِلةٍ.. لقدِ اعترفُوا بكلِّ شـــىءٍ، وإليكُمَ الأخبارُ التِـــى لمْ تكنْ تخطُرُ بِبَالكم، وأشارَ إلى أَحَدِهم. لقد اعترفَ لَنَا أَنَّ الحاكمَ الجديدَ، الذِى هُوَ عدونَا، مَـــا هُوَ إلاَّ رَئيسُ عصَابةِ هؤلاءِ اللُّصوصِ قاطِعِى الطّريق، وقد سَـــوّلت له نفسُـــهُ الخَسِيسةُ بأَنْ يَسْتولِىَ عَلى بِلاَدِنَا، وقد نهبَ هُوَ ورجالُهُ كلَّ مَا اسْتطاعتْ أَيدِيهم أَنْ تصلَ إليه فى القصْرِ وخَارجِ القصرِ أيضًا.

التفـــتَ عبدُ الرحمنِ إلى رجَـــالِ العِصَابةِ وَسَـــألهم بغلظَةٍ وتَهْدِيد: هَـــلْ تختارونَ الحياةَ فِى نعيم ذلك الملكِ الحَقِيقى - أَشَـــارَ لفهدٍ - أَمْ تَختارونَ الموتَ قَتْلاً فِى التوِّ واللَّحْظَة. ارتفعَتْ أصوَاتُهُم ذليلةً تطالبُ بالصَّفـــحِ عَنْهم والبقَاءِ عَلى حَيَاتهـــم. أردفَ عبدُ الرحمنِ بِحِدَّةٍ: إذنْ فعليكُم تنفيذُ كلِّ مَا سَـــنأْمركُم بِهِ وإلاَّ.. وســـكتَ والشـــررُ يتطايرُ مِنْ عينيْهِ، والعِصابةُ ترتعِدُ فرائصُهُا مِنَ الرُّعْبِ. ثُمَّ اسْتطرَدَ: علمتُ أَنكُم اعْترفتُمْ أَنَّ رئيسَـــكم اللصَّ الأكبرَ، أمرَكُم بأَنْ تأْتُوا إليْهِ مرةً كلَّ شهرٍ ليلةَ اكتمَالِ القمرِ؛ ليطمئِنَّ عَلى نشـــاطِ عِصَابتـــه الآثمةِ ويَرَى حصادَ جَرَائِمِكُمْ، وَأَشارَ إلى صناديقِ المسروقَاتِ - وبهَذِه الطَّرِيقةِ ستساعدونَا عَلـــى الدخـــولِ إليْهِ فِى عُقْرِ دَارِه.. ولتعلَمُوا أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا ســـيكونُ سلاحُه قريبًا مِنْ عُنُقِ أَحَدِكُمْ لقطْعِه عندَ أَيَّةِ مُحَاولةٍ للغَدْر..

وَافقَ اللُّصوصُ وقلوبُهُم ترتعِدُ رُعْبًا.. وَمَا إنْ حانَ موعدُ لقاءِ العصابةِ مَعَ رَئيسهِمْ حتَّى تنكّرَ أفرادُ العصابةِ فِى زِىِّ قافلةٍ مِنَ التجّارِ ووضَعُوا

عَلــى العربــاتِ – التِى تجرُّهَا الجيَــادُ – عَدَدًا كَبِيرًا مِــنَ الصناديقِ الخشــبيَّةِ، التِى زَعَمُوا أنهَا مُحَملَةٌ بالبضَائع. وَطَلبوا أَنْ يدخلُوا عَلى الحاكــم ليعرِضُوهَا عليه.. فهمَ الحاكمُ العــدوَّ عَلى الفور، أنهُمْ أفرادُ عِصَابته، فَأَذِنَ لَهُم بالدخُولِ فورًا، ثم أنزلُوا الصناديقَ كلَّهَا فِى القاعَةِ المغلقَةِ، وجَلَست العصابةُ تنتظرُ دخُولَ المَلِك..

وَمَــا إنْ جاءَ الملكُ ســريعًا مُنتشــيًا، حتَّى نهضَ أفــرادُ عِصَابته، وعَلــى وُجُوههُم الرُّعْبُ والذلُّ عَلى غــيرِ العَادة.. فتلفَّتَ بخوفٍ يُمنَةً ويُسْــرَةً وصَرَخَ فِيهم: مَا بِكُمْ؟ مَاذَا حَدَثَ؟ أَخْبرونِى بسُــرْعةٍ.. وَهنا دَفَــعَ الجنودُ الذينَ كانُوا مُختفينَ داخلَ الصناديقِ أَغْطيةَ الصَّناديقِ مِنَ الداخلِ، وخرجُوا شــاهرِينَ سُــيُوفَهم وهُمْ يَصِيحُونَ فِيه: ســنخبرُكَ – نحنُ – بمَا ســيحدُثُ لكَ أَيُّهَا اللِّصُّ.. وسُرْعان مَا كَبَّلُوهُ وانتشرُوا فِي أنحاءِ القصْرِ يُقَاتلونَ ويأْسِــرونَ الأعــداءَ الذِينَ قُتِلَ مِنْهم مَنْ قُتِلَ، وأسِرَ مِنْهُم مَنْ أُسِرَ وَفرَّ الباقِى كَمَا يفرُّ الفأرُ الجبَانُ..

وَمَــا إنْ لاَحتْ تباشِــيرُ النَّصْرِ حَتَّى اندفعَ فهــد إلى الطابقِ العلوىِّ يبحَــثُ عَنْ أُمِّه التِى أحسَّــتْ بالفَوْضَى، وَسمِعَــت الأَصْواتَ العاليةَ، وأخذَتْ تدقُّ البابَ بِشِدَّةٍ مِنَ الدَّاخلِ وتصرُخُ مُطَالبةً بِفَتْحِ البَابِ.. كانَ فهد ممسِــكا بحربَةٍ وســيْفٍ، فدفعَ الحربة بِقوّةٍ فِى قفلِ البابِ الذِى انفتحَ عَلى مِصْراعَيْه.. وَقفت أُمُّه أَمَامه غَيْر مُصَدِّقةٍ نفسهَا، وهو ينظرُ إليهَا مُبتســمًا.. أَلْقَى مِنْ يَدِه الحرْبةَ والسَّــيْفَ، واندفعَ مُتعلقًا بِأُمِّه التِى تَشَبَّثَتْ بِه، وراحتْ تَبْكِى منْ فرْطِ الفرحَة..

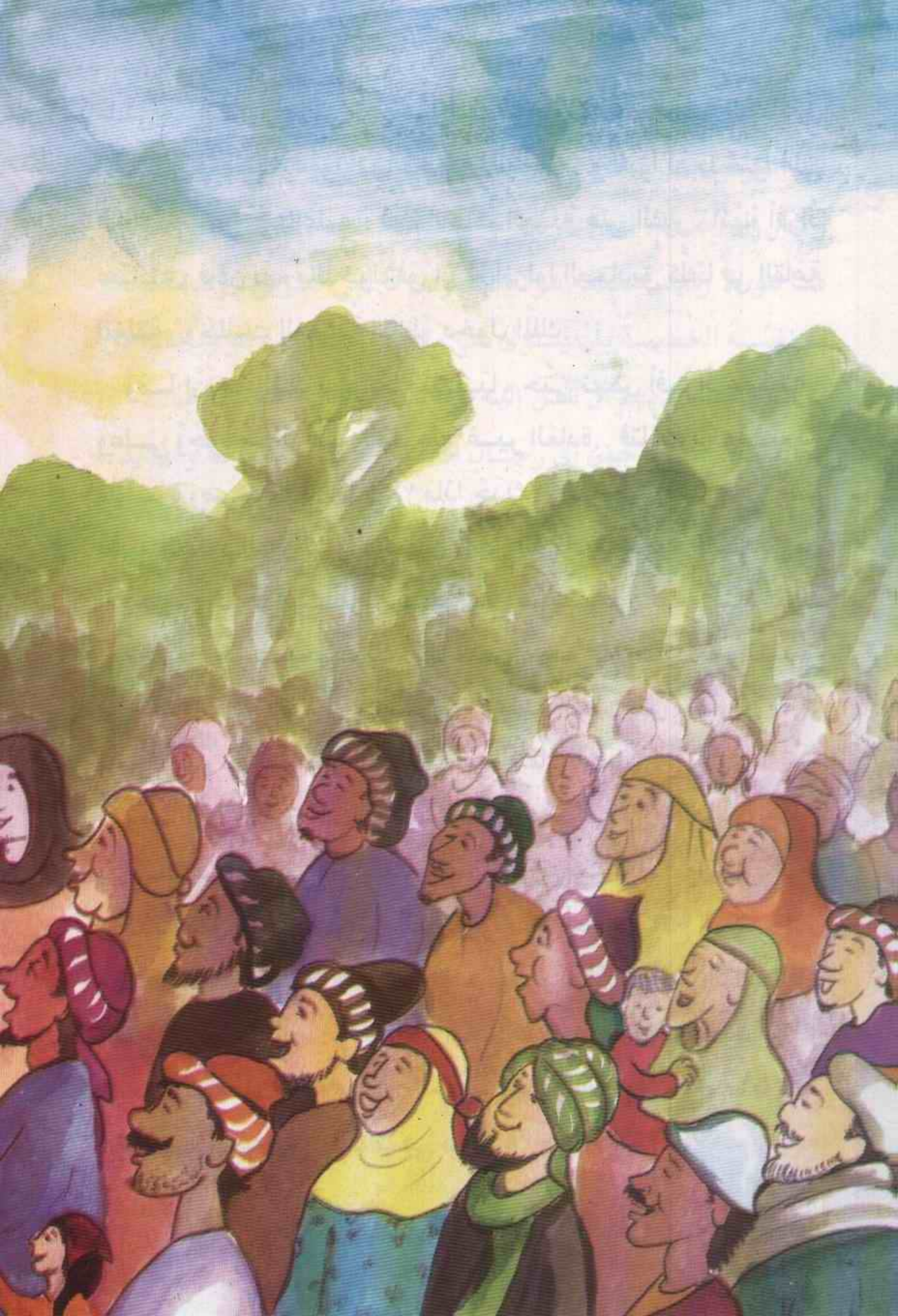

وَمَا هِىَ إلاَّ أَيَّامٌ معدودَاتٌ حتَّى اســتطاعَ الجنودُ التخلُّصَ مِنَ العدوِّ والسيْطرةَ عَلى كلِّ مَرَافقِ المَمْلكَة. ولَمْ ينسَ عبدُ الرحمنِ أَنْ يُوقعَ العقابَ عَلــى صاحبِ المطعمِ وزوجَتِــهِ اللّذيْنِ أَنكرَا وجــودَ أَىِّ خاتمٍ معهمَا.. وعندَ تفتيشِ المكانِ الذى يعيشان فيه عثَرَ عَليه الجنودُ فِى علَبَةٍ دَاخِلِ خَزَانةِ الثِّيَاب.. وَاقْتِيدَا للسجنِ بتهمَةِ سرقةِ الفَتَى الصَّغير، وَالكَذِب عَلى الشُّرطةِ.

أَمَّا الجَزيرةُ المهْجُورَةُ فأمرَ فهدٌ ببنَاءِ بيوتٍ للصيَّادينَ فيهَا، وسُمِّيتْ بِجَزِيرَةِ الصيادينَ بعدَ أَنْ عرفَ الجميعُ أَنَّ قصصَ الجَان وَالأشبَاحِ كُلَّهَا أَكَاذِيب وافتراءَات نسجهَا اللُّصوصُ وتناقلَهَا الناسُ وصدَّقُوهَا..

وَفِى يــوم الاحتفالِ بالنَّصْرِ، وقفَ فهد فــوقَ المنصَّةِ وَوَالدتُهُ الملكةُ عنْ يَمِينهِ، تتزيَّنُ بِحُليهَا الثمينةِ، وعنْ يَسَــاره مُعلمهُ المخلصُ الذِى حملَ التــاجَ أمامَ جمُوعِ الشــعبِ وَوَضَعهُ فوقَ رأسِ الملــكِ فهدٍ. وعيَّنَ مُعَلِّمَــه وَزيرًا ومستشَــارًا له.. وكانَ عمُّ ســعيدٍ يقــفُ بجانبِ معَلِّمِه الوَزِير بمَلاَبسِــه الفخْمَةِ بَعْدَ أَنْ جَعلــهُ الأَميرُ مِنْ خَاصّتهِ المقرَّبينَ.. ووسطَ تَصْفِيق الجَمِيع وَهِتَافهم لفهْدٍ، كانتْ تَتَرَائَى لعينيْهِ صورةُ أبيهِ الرَّاحِل، وصوتُهُ الحبيبُ يرنُّ فِى أُذُنيْهِ وهُوَ يقولُ بَاسِمًا:

ستكُونُ خيرَ ملكٍ حكمَ هَذِه البِلاَد.